الفصل الثاني

ضد الناموس؟

اقتــرح البعــض أننــا ربَّمــا نعيــش فــي أكثــر حقبــة مــن تاريــخ الكنيســة يقــول فيهــا النــاس أنهــم تحــرَّروا بالنعمــة مــن سـلطة النامـوس الأدبيَّـة، فـي منظـور يُعـرَف باسـم «ضـد النامـوس» (antinomian). تأتـي هـذه الكلمـة، antinomian، مـن الكلمــة اليونانيَّــة «أنتــي، *anti*»، والتــي تعنــي «ضــد»؛ والكلمــة «نومــوس، *nomos*»، والتــي تعنــي «النامــوس أو الشــريعة». إذن ضــد النامــوس، أو antinomianism، هــو الاعتقــاد بــأن نامــوس الله ـ أو علـى الأقـل نامـوس العهـد القديـم ـ لـم يعُـد مُلزمًـا البتّـة أو ذا صلـة بالحيـاة المسـيحيَّة اليـوم.

كثيرًا ما نقرأ في فقرات العهد الجديد، مثل تلك التي كتبها الرسول بولس، أننا لم نعُد تحت الناموس بل تحت النعمة. وعادةً يُفهَم هذا بمعنى أننا لم نعُد مسؤولين من أي ناحية أن نطيع ناموس العهد القديم، لأن، وهذه هي الحجَّة المستخدمة، ناموس العهد القديم كان ذا صلة فقط بالشعب الذي عاش في ظل نظام حكم إسرائيل الثيوقراطي، حيث كانت الدولة محكومة من الله بواسطة الكهنوت. من المفترض أن يكون قد تمَّ إلغاء كل هذا عندما أشار المسيح إلى بداية العهد الجديد وتأسيس الكنيسة المسيحيَّة. على أي حال، يقول يوحنا في إنجيله: «**لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا**» (يوحنا ١: ١٧).

يعتقد أناس كثيرون أن للعهد الجديد مجموعة من الوصايا الخاصة به، وأنه بصفتنا مسيحيِّين، فنحن مُلزَمون بطاعة حكم يسوع المسيح والشريعة التي

يعطيها لشعبه. ولكن كيف يجعلنا هذا نتعامل مع ناموس العهد القديم اليوم؟ فالكتاب المُقدَّس نفسه يعلن أن عناصر معينة من ناموس العهد القديم قد أُبْطِلَت. خذ، على سبيل المثال، الناموس الطقسي في العهد القديم، والذي يتكوَّن من الشعائر والطقوس التي يؤدِّيها إسرائيل في عبادة الله. لم يكن تقديم الذبائح مجرد اقتراح اقترحه الله على إسرائيل. بمقتضى وصيته، كان على بني إسرائيل أن يحتفلوا بيوم الكفارة، وأن يعدُّوا محرقات، وأن يبقوا أمناء من جهة الطقوس. كانت هذه الشعائر، كما يخبرنا العهد الجديد، ظلالًا أو رموزًا، تشير إلى الذبيحة النهائية التي كانت سوف تُقدَّم مرةً واحدةً في موت يسوع.

في الحقيقة، نحن نرى الصراع في العهد الجديد ضد مَن كانوا يحاولون التأثير في الكنيسة حتى تستمر في ممارسة هذه الطقوس. أصرَّ هؤلاء المُهوِّدون [الذين أرادوا أن يُلزِموا غير اليهود أن يعيشوا كاليهود]

علـى أنـه ينبغـي متابعـة شـعائر العهـد القديـم باسـتمرار فـي كنيسـة العهـد الجديـد. ثـار نـزاع حاد حـول هـذه النظرة، وقـد قاومهـا الرسـول بولـس بضـراوة فـي رسـالته إلـى أهـل غلاطيـة، كمـا فعـل ذلـك كاتب الرسـالة إلـى العبرانييـن. وقد كان الأسـاس المنطقـي لهـذا هـو: مـا إن قـدَّم المسـيح الذبيحة الكاملـة مـرةً واحـدةً، فـإن العـودة إلـى الرمـوز والظـلال تعنـي إنـكار مـلء النـور والتحقيـق التـام الـذي جـاء مـع هـذه الذبيحـة الكاملـة. لذلـك، أوضحـت الكنيسـة المسـيحيَّة أنـه علينـا ألَّا نسـتمر فـي ممارسـات العهـد القديـم المتعلقـة بالعبـادة الطقسـية.

نـرى أيضًـا جـزءً مـن نامـوس العهـد القديـم يتكـوَّن مـن شـرائع الطعـام الطاهر والنجـس. في هذه الشـرائع، حدَّد الله أي الأطعمـة كان مسـموحًا لبنـي إسـرائيل بتناولهـا وأي الأطعمـة كان أكلهـا يُعَـد نجاسـة. فمثـلًا لـم يكـن مسـموحًا لهـم بتنـاول لحـم الخنزيـر. ولكـن فـي العهـد الجديـد، عندمـا

توسَّعت الكنيسة لتشمل الأمم الذين اتَّبعوا نظامًا غذائيًا مختلفًا، أصبح السؤال الخاص بالشرائع الخاصة بتناول الطعام سؤالًا مهمًّا. عالج مجمع أورشليم، المسجَّل في أعمال الرسل ١٥، هذه المسألة. كان الله قد أعطى بطرس رؤيا، قال فيها له المسيح ألَّا يُدنِّس ما طهَّره. نتيجة لهذا، قلَّص مجمع أورشليم قائمة الطعام الممنوع تقليصًا كبيرًا. رُفِعَت قيود الطعام التي كانت قائمة في العهد القديم في ظل تدبير العهد الجديد. لذلك، يُعلن الكتاب المُقدَّس بوضوح عن ناحيتين لم تعُد فيهما شرائع العهد القديم مُلزِمة بصفة مطلقة في حياة المسيحيِّين اليوم.

من الناحية التاريخيَّة، سعت الكنيسة للإجابة عن سؤال «هل ما زالت شرائع العهد القديم مُلزِمة اليوم بالتمييز بين الأنواع المختلفة من شرائع العهد القديم؟» بحسب هذه النظرة، ينقسم الناموس إلى ثلاث فئات:

شـرائع خاصـة بالطعـام، وشـرائع طقسـية، والشـرائع الأخلاقيـة الأدبيّـة. بقـدر مـا قـد يُعـد هـذا التمييـز مفيـدًا، ينبغـي أن نتذكَّـر أنـه عنـد اليهـودي فـي فتـرة العهـد القديـم، كان كل النامـوس يقـع فـي فئـة النامـوس الأخلاقـي. فقـد كانـت مسـألة أخلاقيـة بالنسـبة لدانيـال وشـدرخ وميشـخ وعبدنغـو أن يطيعـوا شـرائع الله الخاصـة بالطعـام حين كانوا في السبي. لقد كانت مسألة أدبية بالنسبة لإسرائيل أن يطيعوا النامـوس الطقسـي. لكـن القصـد فـي أيامنـا مـن التمييـز بيـن الثلاثـة، هـو توصيـل فكـرة وجـود طبقـة ثابتـة مـن الناموس فـي العهـد القديـم، والتـي يبـدو أنهـا مسـتمرة في حياة كنيسـة العهـد الجديد.

يظهـر واحـد مـن أهـم النصـوص حـول هـذا الموضـوع فـي الموعظـة علـى الجبـل، حيـث يقـول يسـوع: «**لاَ تَظُنُّـوا أَنِّـي جِئْـتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَـاءَ. مَـا جِئْـتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ**» (متـى ٥: ١٧). بالمثـل، نـرى الرسـول بولـس،

عندما يتكلَّم بتعبيرات مجيدة عن الطريقة التي افتُدِينا بها من لعنة الناموس وأنَّنا لم نعُد تحت الناموس، حريصًا في تحذيرنا من القفز إلى ذات الخلاصة التي توصَّل إليها معتنقو فكرة ضد الناموس ـ أن الناموس لم يعُد له أي اعتبار في حياة المؤمن المسيحي.

يقول بولس، في رومية ٧: «**إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ**» (الآية ١٢). يتَّسم كل مضمون تعليم العهد الجديد عن الناموس بهذا الموقف. في رسالة يعقوب، على سبيل المثال، يتكلَّم يعقوب عن ناموس الطاعة الملكي في تعاليم الرب يسوع نفسه. في رسالته، حيث تكرَّر الكثير من شرائع العهد القديم لفائدة الكنيسة المسيحيَّة، نرى أن المحتوى الدائم لناموس العهد القديم الأخلاقي لا يزال يُؤدِّي دورًا مهمًّا وحيويًّا في مجتمع العهد الجديد. ولكن مرة أخرى، السؤال هو، ما هو هذا الدور بالتحديد؟

بينما نأخذ هذه الأسئلة المتعلِّقة بالناموس في اعتبارنا، ينبغي أن نتذكَّر أنَّ المشكلة الأساسيَّة في كل الخليقة هي مشكلة الشر. المشكلة الجوهريَّة في حياتنا هي مشكلة الخطيَّة، والخطيَّة والشر كلاهما يُحدَّد ويُعرَّف في ضوء الناموس. كان سقوط آدم وحواء تعدِّيًا في حق ناموس الله. يرتبط الشر المطلق في الكتاب المُقدَّس بحالة التعدي على القانون (١يوحنا ٣: ٤). وأعلى استعلان للشر المتجسِّد هو إنسان الخطيَّة (٢تسالونيكي ٢: ٨-١٠). لذا عندما نتعامل مع أسئلة عن ناموس الله، فنحن لا نتعامل مع أمور هامشيَّة أو أسئلة غير مهمة، بل عن شيءٍ يصل إلى لُبِّ حياتنا كبشر مدعوِّين لنعيش في محضر الله *coram Deo* - أي أمام وجه الله.